لمحات اجتماعية وتاريخية من فكر علي شريعتي

أ.م. د غانم نجيب عباس
م.م وائل جبار
جامعة المثنى /كلية التربية

المقدمة:

يعّد على شريعتي من الشخصيات المثقفة الإيرانية المنسوبة الى التيار الإسلامي الى جانب اهتمامه بعلم الإجتماع؛ إذ رَكّزَ في الكثير من كتاباته على تصوير الواقع الإجتماعي في ظل المؤسسة الدينية التي تعاصره، وقد ألف مجموعةً كبيرةً من الكتب المختصة بدراسة التأريخ الإسلامي فضلاً عن مؤلفاته في علم الإجتماع. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى، طبعت محاضراته ولاسيما التي ألقاها في حسينية الإرشاد في كراريس وسُجلت على الأشرطة، حتى بلغ مجموع مؤلفاته أكثر من (150) كتاباً، وهذا لم يأتي من فراغ بل أفاد شريعتي من دراسته الأكاديمية في فرنسا فهو حاصل على شهادتين للدكتوراه إحداهما في التأريخ الإسلامي، والأخرى في علم الإجتماع. ومن هنا وقع إختيارنا لهذه الشخصية. محاولةً منا للكشف عن دورها الفكري والثقافي ولاسيما من النواحي الإنسانية والدينية والتاريخية ومدى موضوعية تلك الأفكار

وقسم البحث على مقدمة وتمهيد وثلاثة محاور وخاتمة، إذ تناول التمهيد السيرة الذاتية لهذا المفكر منذ ولاته في قرية مزينان في ضواحي مشهد حتى اغتياله في فرنسا عام 1977م. وتطرق المحور الأول الى البعد الإنساني فدرس جذور الحياة الإجتماعية للإنسان ونظرته للكون، وأسرار الصراع الطبقي بين المجتمعات الإنسانية الأوَل. وناقش المحور الثاني البعد الديني إذ إن الدين نشأ مع نشوء المجتمعات وتابع الصراع الديني بين الأديان المختلفة التي كانت سائدةً بين المجتمعات والأديان المستحدثة فيها، وركز على فهم معنى كلمة الكفر ومدلولاتها القديمة والمستحدثة، وبحث أنواع الشرك

ومسبباته. على حين درس المحور الثالث التأريخ والحضارة فقد نقد شريعتي واقع البحوث التاريخية ووصفها بأنها ذات الطابع المنبوذ وتفتقر الى التحليل العلمي وفلسفة التاريخ، ويمكن التعرف الى حضارة المجتمعات عن طريق الآثار المادية والكتابية التي تركتها تلك المجتمعات وتحدث عن الحضارات الأصيلة والمقلدة وكانت لديه بعض الأراء غير الدقيقة عن هذا الموضوع ولاسيما فيما يتعلق بحضارة العراق القديم.

إعتمد البحث على مجموعةٍ من المصادر والمراجع جاءت في مقدمتها مؤلفاته، ولاسيما كتبهُ (العودة الى الذات، ودين ضد دين، و الإنسان والتاريخ، و الإنسان والإسلام، وتاريخ ومعرفة الأديان، وتاريخ الحضارة) الى جانب بعض مؤلفاته الأخر وهذا لايعني إغفال بقية المصادر والمراجع ولكن المصادر التي ذكرناها كانت قريبةً من مغزى البحث.

التمهيد: سيرته الشخصية 1933-1977 : ولد علي بن محمد تقي شريعتي في شهر كانون الأول عام 1933م، في قرية مزينان القريبة من مشهد التابعة لمحافظة خراسان، وهو من القومية الفارسية، وكان والده رجل دين غير معمم مفسراً للقرآن وكاتباً له بصماته، وهو معروف بتوجهاته الإسلامية، فهو من مؤسسي مركز نشر الحقائق الإسلامية في مشهد[1] وسلطت دراسات والده الضوء على تنقية أصول التشيع وما علق به من قضايا مدسوسة عبر القرون. ولم تقف كتاباته عند ذلك، بل حاول توعية المجتمع الإيراني، وبيان أهمية دور الدين وتأثيره في المجتمع[2] بشكل يلائم روح التقدم العصري في تلك المرحلة. إذ دعا الشباب الى العدول عن المفاهيم الغربية المفرغة من المحتوى، والإلتفات الى الإسلام لأنه الطريق الذي ينير عقول أولئك الشباب بصورة خاصة، والمجتمع بصورة عامة.

وقد تأثر شريعتي بأفكار والده الإسلامية، وحاول السير على نهجها[3]. ومارس شريعتي النشاط السياسي منذ المراحل المبكرة من حياته الدراسية، إذ إنضم الى جناح الجبهة الوطنية[4] التي قادها محمد مصدق[5] إبّان عام 1953م، الى جانب عضويته في حركة المقاومة الوطنية التي أسسها بعض رجال الدين[6].

ولم تستمر تلك الحركة طويلاً إذ سرعان ما إنهارت بسبب عمليات القمع التي لحقت بها،وذلك في عام 1958م. وقد سجن شريعتي لمدة ستة أشهر نتيجة نشاطاته فيها ودخل كلية الآداب جامعة مشهد عام 1955م، وتزوج من زميلته في الدراسة السيدة بوران شريعت رضوي عام 1956م، وبعد تخرجه

في الجامعة بدرجة امتياز في الأدب أرسل ببعثة دراسية إلى فرنسا عام 1959م، إذ واصل دراسته هناك. وحصل على شهادتين للدكتوراه في تأريخ الإسلام وعلم الإجتماع ونشر هناك بعض دراساته عن الإسلام باللغتين الفارسية والفرنسية، وترجم عن الفرنسية كتاباً للويس ماسينيون عن سلمان الفارسي، وصارت له علاقة طيبة مع المفكر الفرنسي فرانز فانون وترجم للفارسية قسماً من كتابه معذبوا الأرض. وفي أثناء تواجده في فرنسا ، أسس فرع أوربا لحركة تحرير إيران التي أنشأها بازركان والطالقاني عام 1961م ودعم الثورة الجزائرية إذ نظم المظاهرات المؤيدة لها[7] ثم شارك في المظاهرات التي إندلعت في فرنسا إحتجاجاً على مصرع لومومبا فألقي القبض عليه وسجن لمدة ثلاثة أيام[8].

قرر العودة إلى إيران في منتصف ستينيات القرن العشرين، واعتقل على الحدود وسجن لمدة أحد عشر يوماً، بسبب مواقفه غير المؤيدة للسلطة [9] ولاسيما دوره الكبير في تنظيم الحركة الإسلامية للطلبة الإيرانيين في الخارج بعد أن تعاونت معه ثلة من المثقفين[10] عيّن بعد ذلك مدرساً في مدينة مشهد في ثانوية تدعى ملكي، ثم نقل الى مدرسة قرطبة في ضواحي مشهد وإضطر للذهاب إلى طهران لغرض التدريس في جامعة طهران ثم عاد الى جامعة مشهد ليدرس في كلية الآداب التابعة لها،واتّبع أسلوب الصداقة في تدريسه الطلاب ونتيجة المضايقات السياسية ترك العمل في تلك الكلية.[11]واتّجه بعد ذلك الى حسينية الإرشاد التي أسستْ عام 1969م، فأصبحت مركزاً لنشاطاته الثقافية إذ ألقى فيها محاضرات منتظمة حول الإسلام فضلاً عن تأسيسه خمس لجان في تلك الحسينية واجبها إقامة دراسات عن تأريخ الإسلام وتفسير القرآن والأدب والفن واللغة الإنكليزية. وطبعت محاضراته وسُجلت على أشرطة لغرض نشر أفكاره في كافة أنحاء إيران[12] وكان يحضر درسه الإسبوعي في تلك الحسينية حوالي (6000)طالب وطالبة[13]

وانتقدت مؤلفاته من قبل بعض رجال الدين واتهم بالبهائية والوهابية وغيرها من الإتهامات الأخر. وأغلقت حسينية الإرشاد عام 1973م من قبل السلطة واعتقل مع والده وسجن لمدة ثمانية عشر شهراً ثم أطلق سراحه بعد تدخل المسؤولين الجزائريين بعد زيارة الشاه للجزائر في أذار عام 1975م، ولكنه وُضِع تحت المراقبة ومُنع من أية نشاطات علنية فغادر إيران في أذار عام 1977م، إلى لندن، وقُتل فيها بعد شَهْرٍ في ظروف غامضة ونقل جثمانه

إلى سوريا ودفن بجوار مرقد السيدة زينب (ع).بسبب مواقفه المعارضة للنظام الحاكم في إيران.[14]

أولاً: البعد الإنساني

إكتسب الإنسان معاني الإنسانية من خلال إطلاعه على التأريخ[15] وقد ناقش شريعتي جذور الحياة الإجتماعية للنوع الإنساني مشيراً الى أن بدايتها كانت قبل إختراع الكتابة بمراحل من الدهور وذلك ما أثبته علم الآثار وعلم الأرض وعلم الإجتماع والقصص والأساطير القديمة، وعند الإطلاع على تلك العلوم يمكن تصور حياة الإنسان بأجياله الأوَل ومنهجه الحياتي والعقائدي، و يعني ذلك أن الجانب الديني ينشأ مع نشوء المجتمعات، والدليل على ذلك أنَّ التأريخ لم يتحدث عن مجتمعات عاشت من دون دين. [16] ولابد من الإشارة الى أن المذاهب والأديان القديمة حطمت شخصية الإنسان، وجعلته يقدم نفسه قرباناً للآلهة، إذ كان هدفها إغراء الإنسان بالتخلي عن إرادته مقابل إرادتها، وفي تلك الحالة ظهر بمظهر العاجز، ولذلك كان يعتمد طريق التوسل والدعاء والتضرع لتحقيق غاياته من الآلهة.[17]وظهرت في القرون المتأخرة بعض الدعوات من قبل بعض الأشخاص الذين أنكروا وجود الخالق، فهم لم يرتقوا الى مستوى فئة إجتماعية معتد بها.[18]

وأكد رواد الفلسفة الوجودية المادية أنَّ وجود الإنسان في البداية يعود إلى الطبيعة ثم تمخضت إنسانيتهِ على طول التأريخ عن طريق عمله، وذلك تمهيداً لظهور ماهيته أو جوهره. بينما اعتقد رواد الفلسفة الوجودية المذهبية- المؤمنين بوجود الله-بتقدم الوجود على الماهية، ولم يتفق شريعتي مع ما طرحته الفلسفة الوجودية المادية ولم يتقبل كل آراء الفلسفة الوجودية المذهبية ولاسيما فيما يتعلق بتقدم الوجود على الماهية لأن الله صوّر الأشياء التي صنعها ووضع لها ماهية خاصة، ثم صنعها أي إن الماهية تسبق الوجود [19].

وسلط شريعتي الضوء على فكرة الوجود الإنساني فهناك رأي مفاده أنَّ أصالة العلوم الطبيعية هي التي تحرك السلوك الإنساني بصورة جبرية وإنه صنع وسلطة تلك القوانين، وهو بريء من التدخل في تقرير مصيره، بل توجد تأثيرات على شعوره وتعقله تجعله بهذا الشكل[20] وهناك رأي ثانٍ يؤكد على إن الإنسان وضعته الظروف الإجتماعية لذلك فإن سلوكه من صنع يديه وحسب إرادته ولا يمكن إغفال جبر المحيط الإجتماعي والعوامل الوراثية التي

تؤثر على شخصيته بينما الرأي الثالث تبناه علماء الإجتماع وأشار الى أن الفرد عبارة عن وعاء خالٍ تملأه روح المجتمع، فلو كان الفرد مجرماً ووضيعاً فالمجتمع هو الذي صب وضاعته والعكس صحيح. ونناقض ذلك رأي علماء النفس الذين جعلوا العامل الوراثي له الدور الريدي في صنع شخصية الفرد. [21] بينما كانت وجهة نظر شريعتي لاتبتعد كثيراً عن وجهة نظر علماء الإجتماع إذ قال: " الإنسان على العكس من بقية المخلوقات، ورسالته هي أن يقوم بتكييف المحيط حسب حاجته ومثاله المطلوب، إذن الإنسان هو إمكانية نسبية. فمن تسنى له المسير على قدميه وتعرت جبهته وراحة يديه من الشعر هو ليس إنساناً بل حيواناً ناطقاً". [22]أي بمعنى أنَّ الإنسان هو ابن بيئتهِ فعلاً، ولكنه يخالفها ويتكيف مع الظروف التي يرغب فيها، على العكس من الحيوان والنبات.

وضح شريعتي رؤية الإنسان للكون في ضوء الصورة المنعكسة في ذهنه، والتي لها تأثير مباشر على عمله وعقيدته وسلوكه الفردي والإجتماعي أي إن كل شخص يعيش على غرار رؤيته للكون.[23] ويمكن تحديد تلك الرؤية وفقاً لأبعاد مجتمعه، بمعنى أن الصورة الذهنية في العالم تتغير طردياً مع ظواهر المعالم المدنية واتساعها.[24]

وذكر شريعتي اختلاف رؤية الأفراد للكون فبعضهم ينظر إليه من منظور مادي، أي إن الكون قائم على أساس المادة، فإن الكون ليس لديه شعور أو إرادة أو هدف. والبعض الآخر نظر الى الكون نظرة دينية مبنية على أساس العقيدة الدينية ووصفه بأنه نظام واعٍ له أرادة وإحساس وشعور وهدف، وبما أن الأفراد الموجودين في الكون هُم أبناؤهُ فلا بد أن يتحلوا بالوعي والشعور الكبير الذي يحكم الوجود ويشرف على جميع أعمال الذرات. وهناك من يرى الكون من منظور إستدلالي فلو لم يكن الله موجوداً في العالم، لجازَ كل عملٍ، وذلك لعدم وجود أي إرادة أو إحساس أو إدراك يميز الفعل الحسن عن القبيح. [25]

وأيد شريعتي الرؤية الدينية للكون لأنه يعتقد إن الكون منظمة تشرف عليها قوة قاهرة عليا وتديرها، وبفضل تلك القوة تدار عجلة العالم والكواكب. وهذهِ القوة صنعت الأشكال والأشياء وخلقت الناس حسب إرادتها، فالإنسان لايساوي شيئاً في نظام الرؤية الدينية للكون، ولاسيما أنَّ الإنسان مصيره بيد تلك القوة القاهرة، ولكي يدرك الإنسان ذلك عليه ترك موضوع الإيمان أو الكفر فالمطلوب منه هو تحليل علمي لهذه القضية، ولم يأتي التحليل العلمي إلا

عن طريق المعرفة لأن الدين من دون معرفة لاقيمة له، والابتعاد عن التظاهر بالعقيدة حينما لايكون هناك وعي مقترن بتلك العقيدة. فالإسلام المجهول لايختلف عن الدين البوذي أو الشرك وعبادة الأصنام أو حتى السحر.[26]ويمكن القول إن ما ذهب إليه شريعتي هو الصواب بعينه.

وبحث شريعتي فلسفة خلق الإنسان كما وردت في مصادرنا الإسلامية، فحينما خلق الله آدم (ع) لم يكن هناك مجتمع ولا تاريخ.ويمكن الإستنتاج مما تقدم أنّ أصالة الفرد جديرة بدراسة فلسفة الخلق[27] ومنذ ذلك الحين كانت الإشتراكية القائمة على أساس العدالة هي السائدة، لكن ذلك لم يستمر طويلاً، إذسرعان ما ظهرت الملكية الفردية وبرز طغيانها على المجتمع ونتيجة لذلك بدأ الصراع البشريَ حسب وصف القرآن، عندما قتل قابيل أخاه هابيل. ومن أسرار ذلك الصراع الحصول على الملكية، وبداية المصالح الفردية للإنسان.[28] وقد يصح القول عن تلك المرحلة بأنها تمثل بداية الصراع الإنساني في تاريخ الإنسان. وعلى مر التاريخ هناك أربعة سجون للروح الإنسانية: أولها سجن الطبيعة فإن الإنسان يكون مجبراً على التكيف مع الطبيعة أي المحيط الجغرافي الذي عاش فيه، وثانيها سجن التأريخ فإن الظروف التاريخية هي التي تحدد الإرداة الإنسانية لذلك يكون الإنسان أسير التأريخ وحبيسهُ، وثالثها سجن المجتمع، ولاسيما أن المجتمع يتدخل في بناء ذات الإنسان ويفرض عليه العادات والتقاليد وسلوكيات معينة، أمّا السجن الرابع والأخير فهو سجن الذات الإنسانية فإن صانعي التأريخ قرروا مصائرهم بأيديهم[29]

أصبح الإنسان بمرور الزمن يعيش في ظل مجتمعات، قد تكون بدوية أو حضرية، وهناك مجموعة عوامل صنعت شخصية تلك الجماعات، ولاسيما طبيعة البيئة التي سكنوها والجذور العرقية لتلك الجماعة والمستوى المعاشي الى جانب الشكل الطبقي لتلك المجتمعات، وتأثيرها السياسي والديني، فإن تلك العوامل وغيرها هي التي تصنع المجتمعات[30]

ثانياً: البعد الديني

وضح شريعتي أهمية الجانب الديني وتأثيره على المجتمعات التي عاصرها فلايوجد في أي مرحلة من مراحل التاريخ مجتمع من دون دين كما أسلفنا، ولابد من الإشارة الى أنّ المدنية والحضارة السبب الأساسي الذي نشأت من أجله الأديان أو المذاهب، وهناك مدن كبيرة دُفِنَ فيها نبي أو شخصية دينية صالحة، ويمكن القول إن المبرر الديني له الأثر البارز في

نشوء الكيان الحضاري.[31] وتطرق شريعتي إلى سر خلود بعض الأديان ولاسيما التي أعتقد المسلمون بصحتها. فإن لغتها رمزية أي إنها لا تعطي معاني مباشرة بل تحتمل اللغة المكتوبة أكثر من تفسير لذلك هي تخاطب أجيالاً عدّة ولم تحدد بزمان معين وتختلف أفكار الأجيال المتعاقبة في تفسيرها على طول التاريخ، وخاصة من الناحية الفكرية إذ تتفاوت نظراتهم الى الأشياء.[32] ورفض شريعتي الفكرة القائلة إنَّ الدين يتنافى مع الحضارة لأن القائمين على تلك الفكرة لم يميزوا بين الدين واللادين فعليهم أن يطلعوا على الدين بشكل إجمالي عام ثم يوازنوا بين الدين السائد في المرحلة التي عاشوها والدين الحقيقي[33].

وناقش شريعتي قضية التضاد التأريخي، وأحد مضامين تلك القضية هو الجانب الديني، وحتى في المجتمع القبلي يكون إستغلال ذلك الجانب ضد الفئات المحرومة لذلك كانت هناك حروب بين طبقة عامة الناس والطبقة الحاكمة، ولكل طبقة دينها ومذهبها فإن الطبقة الأولى هدفت الى إلغاء الطبقية والتفرقة بين الأجناس بينما سعت الطبقة الثانية إلى تثبيت التفرقة والعنصرية، وذلك ليس على صعيد الأديان المختلفة، بل على صعيد الدين الواحد أيضاً فعلى سبيل المثال الذين قاتلوا الإمام علي (ع) كانوا يقاتلون المشركين ويبنون المساجد ويخربون محلات الخمر والفجور[34]. وتنبه شريعتي الى المراحل الأ َ ل التي نشأت فيها الأديان، إذ كان لكل مرحلة دينها الخاص، وحينما يظهر دين جديد في ذات تلك المرحلة فإن أتباع الدين السائد يكونون محاربين بكل طاقاتهم للدين الجديد[35] ولا يطيقون أي تحول في فهم ذلك الدين ورسالته معتقدين أنَّ جوهر الدين ثابت كالطبيعة ومن المؤكد أنّهم لم يتقبلوا أي تجديد في فهم العقائد ولاسيما إذا كانت العقائد الجديدة تخدم الطبقة العامة للمجتمع[36]

وناقش شريعتي فكرة الأديان الشرقية وتأثيرها على الغرب على الرغم من أنَّ تلك المجتمعات كانت لها أديان مختلفة والسبب الذي دعى غالبية الغرب لإتّباع أديان أنبياء الشرق هو الحضارة والثقافة الكبرى التي بدأت من االشرق وأن الدين في عهد الحضارة يمثل الأبعاد الحضارية والثقافية الأخَر، ويمكن القول إن أديان الشرق حلت محل الأديان البدائية أو البدوية التي كانت سائدةً في تلك المجتمعات [37] وهناك منبعان للأديان الشرقية أحدهما بلاد مابين النهرين وما يتفرع منها، والثاني أديان الهند وما يتفرع عنها. وتعّد الصين مقدمةً للدخول إلى الثقافة العظيمة والأديان الكبيرة في الهند[38] ويمكن القول إن الأساطير والقصص ربما تكون أساس الحضارة والثقافة

الإنسانية ولها الفضل في بناء الفلسفة والمذاهب البشرية. وقد إعتقد الإنسان قديماً أنَّهُ مخلوق من أصلين أحدهما لم يشبه الآخر ومتضادان، أحدهما عنصر طيب يحب الخير والآخر شرير وهذا يعني أنَّ الإثنين إلهان، وتلك الحالة كانت سائدةً حينما كان أفراد القبيلة متعاونين فيما بينهم، وإذا تعرض أحد أفرادها للخطر، فإن الخطر يطال كل أتباع القبيلة، واستمر ذلك الإعتقاد حتى بعد اكتشاف الدورة الزراعية[39].

وفسر شريعتي كلمة الكفر على أنها تعني عدم الاعتقاد بما وراء الطبيعة والله والمعاد والغيب واالمقدسات وذلك الأمر ليس له واقع موضوعي لأن جميع أبناء البشر قانعون بالمبادىء والإصول العامة. أما معنى الكفر في الزمن المعاصر فهو يشير الى اللادين، فهو معنى طارىء ومستحدث ظهر بعد القرون الوسطى، وصدّر ذلك المعنى الغرب إلى الشرق كبضاعة فكرية في ضوئها أصبح الإعتقاد بعدم وجود الله، وبكل ما وراء الطبيعة. وعليه فإن الأديان القديمة كانت تَعُدَّ الكفر نوعاً من الدين أيضاً فمن لايسير على نهج ديانتهم ويدين بديانةٍ أخرى يُعَدُّ كافراً[40].

وتطرق شريعتي الى مسألة الشرك فوجوده لا يعني عدم وجود دين يحكم المجتمعات البشرية بل كان وجوده تحت ألقاب ومسميات مختلفة وبصورة رسمية، ومعناه تعدد الآلهة وتلك الآلهة يمكن أن تكون عدد من الأصنام، وهي تمثل قوى ما وراء الطبيعة، وتلك المعبودات كانت بأشكال دينية متعددة، وقسمت المجتمعات على عدد من الطبقات والمجاميع، ولذلك فإن الشرك هو نظرية كونية مبنية على تعدد الآلهة وعلى قدرات مختلفة، ولذلك فإنَّ النظرة الإجتماعية تكون حسب الطبقات المختلفة[41] وأوجدت عقيدة الشرك نظام إجتماعي عرف بالمفهوم الجمعي وذلك المفهوم له إنعكاس سماوي يتمثل بوجود إله واحد فقط، فإذا كان الخالق هو الله أو طوطم واحد أو صنم القبيلة فذلك يرجع الى نوع التفكير الموجود في ذلك الزمن، أي كانت هناك وحدة يمكن تسميتها وحدة المعبود التي هي متصلة مع عبادة الخالق أو الصنم[42].

وحدد شريعتي أنواع الشرك، فيكون أحياناً واضحاً وظاهراً والإعتقاد مبني على وجود عدد من الآلهة يمكن تشخيصها في دينه وذلك يعرف بالشرك الإلهي، إذ حارب الرسول (ص) ذلك النوع من الشرك ، وهناك شرك يلبس لباس التوحيد كما هو الحال مع الشرك الديني وخير دليل على ذلك عندما حاربه الإمام علي بن أبي طالب (ع) ولم ينتصر عليه.[43] إلى جانب ذلك

هناك الشرك الإجتماعي فإن أتباع هذا النوع من الشرك مرتبطين بالحاكم، وهم مع الحاكم تحت عنوان معتنقين الدين وهم يجيرون الدين لمصالحهم الذاتية، وخير مثال على ذلك النبي موسى (ع) عندما حارب شرك فرعون وبعد أن ساد دينه فإن أتباعه الرومانيين مارسوا الشرك الإجتماعي والنظام الفرعوني تحت مسمى دين موسى الموحد، وكذلك الحال مع الديانة المسيحية والزرادشتية، فإن السيد المسيح أكد على وحدانية الله وأن أتباعه بعد ذلك إستخرجوا من بطون الكتب ثلاثة آلهة، وجعلوا المجتمع ثلاث طبقات. أما الديانة الزرادشتية فإن رجال الدين الزرادشتيين حولوا "أهور أمزدا" الواحد الى ثلاث نيران ومثلت أيضاً طبقات المجتمع.[44]

وذكر شريعتي القاعدة الإجتماعية التي إرتكز عليها دين الشرك فإن مؤسسيه والمحافظين عليه هم في زمرة الطبقات الإجتماعية العالية، ويمكن القول عنهم إنهم أسمى درجة، وأغنى مالاً وأكثر هيمنةً من الطبقة الحاكمة، وخير دليل على ذلك رجال الدين المجوس إبّان الحكم الساساني ، وهيمنتهم على العائلة المالكة والعسكر ، ويمكن إعطاء مثال اخر فقد تجاوزت نسبة الممتلكات التي حاز عليها القساوسة في أوربا السبعين بالمائة إبّان مرحلة العصور الوسطى. فإن العامل الأساسي الذي بني عليه دين الشرك هو العامل الإقتصادي الذي يقوم على أساس تملك فئة قليلة من الناس وحرمان الأكثرية لذلك فإن القائمين على ذلك الدين برروا وجوده وبقاءه وديمومته[45]. وحث شريعتي العلماء والمفكرين على محاربة الدين المزيف من أجل إحياء الدين الحقيقي وتثبيته، وكذلك الحال مع الناس، فلا بد من نضوج وعيهم ويفهموا معنى التوحيد، ويدركوا مدى تناقض دين التوحيد ودين عبادة الطاغوت كي يستطيعوا التمييز بين دين الشرك المتشح بوشاح التوحيد ويرفعوا أنقاب الرياء بكل أشكاله، وفي جميع أرجاء المعمورة لكي يصلوا الى الدين الحقيقي وليس دين وليداً للجهل والخوف[46].

ثالثاً: التاريخ والحضارة

أكد شريعتي على معنى موضوع التأريخ، فإنه ناقش نشوء وإنهيار الحضارات وعلاقة الإنسان بالطبيعة والمجتمع الذي نشأ فيه، في أي مرحلة من مراحل التأريخ وللمجتمع الدور الفاعل في تثبيت الحدث التأريخي، ونقد البحوث التأريخية ووصفها بأنها ذات الطابع الميت والمنبوذ فإن معظم

المؤرخين هم بالحقيقة (مطلعين على أحداث الماضي ومحفوظة في ذاكرتهم)، ولكن هناك ثلة قليلة من المؤرخين يركزون في كتاباتهم على علم التأريخ[47] فعلى سبيل المثال إنّه وضح إن سيادة الكنيسة في العصور الوسطى يمكن وصفها بالعالمية، وذلك لأنَّ اللغة اللاتينية هي التي كانت سائدةً في تلك المرحلة التأريخية على حين نزلت لغة الإنجيل بالعبرية، وإن عيسى (ع) لم يعرف اللاتينية بل كان يتحدث العبرية لذلك فإن اللغة هي الوسيلة التي تنقل عن طريقها المجتمعات، ولها الدور الفاعل في صياغة الأحداث التأريخية[48]

وناقش شريعتي مفهوم الحركة أو النهضة التأريخية ومسبباتها مسلطاً الضوء على المناخ الإجتماعي الذي يمكن عدّه الركيزة أو المحرك الأساس لذلك التغيير، وأتباع ذلك التغيير يوظفون كل إمكانياتهم الإجتماعية والثقافية لخدمة أهدافهم متمسكين بكل وسيلة لتحقيق ذلك. وعندما يصلون الى مقاليد السلطة، يبدأ نشاطهم بالتوقف لأصطدامهم بعراقيل قد تكون ذاتية أو خارجية تُجَمّد الحركة وتخرجها عن طابعها التغييري وهنا تبدأ الأزمة [49] ويمكن القول إن ما ذهب إليه شريعتي قريب من الصواب لأن المنادين بالتغيير عندما يصلون إلى سدة الحكم تواجههم مشاكل جمة تعرقل مبادئهم بل إن بعضهم تبقى أفكاره جامدةً بتلك المبادىء وقد تكون معارضة قوية تعيق تطبيقها.

وتطرق شريعتي الى موضوع العلم فهو يمر بمرحلتين منطقيتين فإن المرحلة الأولى هي الذهنية، وأدواتها هي الحس والذاكرة، ومهمة تلك المرحلة هي التسجيل على حين إنَّ المرحلة الثانية هي مرحلة المنطق والعقل فيمكن عن طريقها التوصل لتحليل أو إستنتاج إذ قال "وللأسف لم يتسن للتاريخ عندنا أن يخطي خطوه واحدة لتجاوز المرحلة الأولى، وليس هذا بنقص علمي فحسب بل "كارثة إجتماعية" وفراغ مهيب من المفاهيم الإنسانية"[50] ويبدوا أن صفة التعميم التي أطلقها شريعتي واضحة فمن غير المعقول أنَّ جميع البحوث التأريخية التي كتبت تعتمد فقط على التسجيل دون التحليل إذ إنَّ المؤرخين المسلمين تنبهوا قبل الغرب لفلسفة التاريخ وخير دليل على ذلك إنَّ عبد الرحمن بن خلدون يُعَد المؤسس الأول لفكرة فلسفة التاريخ هذا من ناحية ومن ناحية اخرى إن علم الإجتماع هو أحد العلوم المساعدة لعلم التاريخ، فإن طبيعة المجتمع وبيئته وثقافته وموقعه الجغرافي كل هذه العوامل وغيرها، قد تسبب بالدرجة الأولى الكوارث الإجتماعية على حين إنَ أحداث التأريخية ربما يكون لها تأثيرات جانبية لتلك الكوارث التي تحدث.

إن التاريخ من التحتية الإقتصادية منقسم ناحية البنية على دورتين، وهما الإشتراكية البدائية أو الأولية، والملكية الخاصة، وعاش الإنسان الدورة الأولى معتمداً على الصيد أي أن جهد الإنسان مبني على جهد الجماعة التي كان يعيش معها. فجميع الثروات الطبيعية تقسم بين أفراد الجماعة. لها الأدوات التي أستعملها الإنسان فقد تكون مصنّعةً أو غير مصنّعة، وحتى إنْ كانت مصنّعةً فإنّها كانت رديئةً، ولا بد من الإشارة الى العلاقات الإجتماعية في تلك الدورة وهي علاقات متقابلة وأخوية فيها صفة التعاون والروابط الإخلاقية متميزة فيها.إذ برزت في تلك المرحلة الروح القبلية التي كان يسود فيها الجانب الإشتراكي بين أفرادها.

وبعد إكتشاف الإنسان الدورة الزراعية تبدأ الدورة الثانية أي الملكية الخاصة، وفي تلك الدورة يظهر عامل الجبر. فإن بعض الأفراد لا يملكون أراضٍ أو ممتلكات لذلك فإنهم مجبرون على العمل عند الأفراد الذين يملكون أراض ـ ونفوذ. لذلك أصبح التأريخ أسير مرحلتين هما البداوة و العداء، وأصبح الصراع إنساني خالص من أجل الربح والفائدة[51]. وأشار شريعتي الى أنّ الحضارة لم تأتي من فراغ وإنما جاءت نتيجة جهد صانعيها وهي تقوم على أساس المنفعة على الرغم من إمتلاك الإنسان قيم معنوية إلا أنّه يسعى دائماً الى المنفعة[52] إذ قال: "موسى صنع مثل هذا التاريخ من بضعة من الأسرى الأذلاء الذين تعودوا على الرق والذلة وحب المال والجري وراء المصالح الفردية والإحتيال الحقير وهو العمل الذي قام به محمد (ص)"[53] وهذا الكلام لم يكن دقيقاً من الناحية العلمية إذ إن أنبياء الله معصومين من الخطأ فكيف يحتالون على الطبقات الفقيرة من أجل صنع الحضارة، وإن الله سبحانه وتعالى له غاية في جعل المجتمعات طبقات لكي تكون كل طبقة خادمةً للطبقة الاخرى، وإنّ أحد أهداف خلق الإنسان إصلاح الأرض وعمارتها.

وأدعى شريعتي بأنَّ كل ما تعلمه من الكتب بإسم الحضارة والتمدن والأخلاق أنما هو كذب محض؟! وعندما شيّدت الأهرام المصرية على أجساد العبيد فإن أجسادهم هي التي يمكن إنصافها وليس تلك الإهرامات إذ قال: "وتلك الأهرام الثلاثة التي لم تعّد في نظري سوى الثالوث المشؤوم: للاستبداد والإستعمار والإستحمار، هي التي إفتعلت هذه الفاجعة لتكون دليلاً على سيرة االإنسان المظلوم وشاهداً على مصيره المحتوم"[54] وهذا الرأي يفتقر الى الدقة العلمية ، فإذا لم يشيد العبيد أو الطبقة الكادحة من المجتمع الصرح

الحضاري فمن الذي يشيده؟ ولولا تلك الصروح العظيمة لما وصلتنا معلومات مفصلة بشكل دقيق عن تلك المجتمعات.

وتحدث شريعتي عن الحضارات الأصيلة والمقلدة وأشار الى وجود حضارتان وهما الحضارة البيزنطية ومركزها تركيا الحالية، وهي وريثة الحضارة اليونانية، والحضارة الإيرانية قبل الإسلام المعروفة بالحضارة الأخمينية، والأشكانية، والساسانية فإن الإيرانيين حسب وصفه كانوا صناع حضارة وثقافة متقدمة وأصيلة، وكذلك الحال مع الإمبراطورية البيزنطية وبين هاتين االحضارتين وجد نوعان من المجتمعات، وهما عرب الغساسنة في الشام وهم يقلدون الحضارة البيزنطية وعرب الحيرة وهم يقلدون الحضارة الإيرانية وتجاهل الحضارات القديمة في بلاد مابين النهرين إذ قال: "لم يكن إذن أثر للحضارة القديمة التي كانت فيها أي الحضارة البابلية والسومرية" ؟![55] ويبدوا أن شريعتي لم يكن على إطلاع تام على الحضارات التي أقيمت في العراق القديم، لذلك فإن كلامه يفتقر الى الدقة العلمية فإن التأثير الحضاري لتلك الحضارات لا يزال الى يومنا هذا، ولاسيما اللغة السومرية إذ إن هناك رواسب لغوية وخاصة في التراث الشعبي العراقي[56] هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فإن العرب لم ينقطعوا عن التراث الحضاري للحضارة السامية بل إنهم ساهموا في دراسة تلك اللغات[57]

وتطرق شريعتي الى احتلال اليمن من قبل الساسانيين ونتيجة لذلك فإن شيوخ القبائل اليمنية عدّوا أنفسهم أكثر أمتيازاً من بقية العرب، وأنتقلوا من البداوة الى رقي الساسانيين وحضارتهم عن طريق أقامتهم القصور العظيمة الإسطورية مثل الخورنق والسدير في دول فقيرة تقليداً لبلاط كسرى، وإن ما قاموا به لامحل له من بلاط كسرى.[58]ويبدوا أنّ القصور الإسطورية في الحضارة الساسانية لم يشيدها العبيد والطبقات الكادحة، كما ذكر شريعتي سابقاً عن الإهرامات المصرية.؟! وهذا دليل عل تعنصره للحضارة الفارسية على حساب حضارة وادي الرافدين ووادي النيل.

الخاتمة:

جاءت خاتمة البحث محملةً بأهم االنتائج الآتية:

* تأكد من دراسة البحث أنَّ شريعتي لم تكن آراءه دقيقة بخصوص الحضارات الأصيلة إذ إنّه اعتقد أنَّ حضارة العراق القديم لم يكن لها أي اتصال بحضارة العرب قبل الإسلام وأثبت البحث عكس ذلك .
* اتضح من خلال الإطلاع على أثاره الكتابية أنه ذو ثقافة علمية واسعة، وعلى الرغم من ذلك، فإن تلك الثقافة التي يحملها حاول توظيفها بما يخدم الحضارة الفارسية على حساب الحضارات الأخر. لذلك انحاز نحو قوميته ومجد إرثها الحضاري.
* يمكن القول إن ما طرحه شريعتي بموضوع فكرة الوجود الإنساني من أراء ربما لم تصل الى الصواب ويمكن إضافة رأي مفاده أنَّ العامل الوراثي له الأثر الكبير في صياغة شخصية الإنسان، الى جانب العامل البيئي. ويمكن أعطاء نسبة (50)% للعامل الوراثي و(50)% للعامل البيئي.
* أوصى شريعتي المجتمع الإسلامي بالقراءة والمعرفة فإن التعصب المذهبي دون معرفة، هو الجهل بعينه. والمسلم الذي لايعرف شيئاً عن الإسلام لايختلف عن المعتنق للديانة البوذية لذلك يمكن القول إن اتّباع هذه الوصية واجب على كل مسلم.

هوامش البحث:

1- فاضل رسول، هكذا تكلم علي شريعتي فكره ودوره في نهوض الحركة الإسلامية مع نصوص مختارة من كتاباته، دار الكلمة للنشر ، بيروت، 1987، ص.7.
2- علي شريعتي، العودة الى الذات، ترجمة ودراسة وتعليق ابراهيم الدسوقي، مراجعة حسين علي شعيب،، ط2 دار الأمير للثقافة والعلوم ، بيروت، 2007، ص.9.
3- علي شريعتي، الإسلام ومدارس الغرب، ترجمة عباس الترجمان، تحقيق محمد حسين بزي، دار الفكر الجديد، النجف، 2008، ص.18.
4- علي شريعتي، الإنسان والتاريخ، ترجمة خليل علي، تحقيق محمد حسين بزي، ط2،دار الأمير، بيروت،2007،ص.6.
5- محمد بن هداية مصدق 1882-1967م، رئيس وزراء أيران الأسبق، وشغل ذلك المنصب بين عامي 1951-1953م . ورفض الأمبريالية الغربية وأمم النفط الإيراني أثناء وجوده بالسلطة، وخلع الشاه، ولكن عاد الشاه الى عرشه بعملية أجاكس التي قامت بها القوات الأمريكية والبريطانية، ونتيجة لذلك سجن ثلاث سنوات وبعد إطلاق سراحه بقى تحت الإقامة الجبرية حتى وفاته عام 1967م ينظر: محمد مصدق-ويكيبديا-الموسوعة الحرة
Ar.wikpedia.org.

6- للمزيد من التفصيلات عن حركة المقاومة الوطنية الإيرانية منذ عام 1953م ينظر: غلام رضا نجاتي، التاريخ الإيراني المعاصر ايران في العصر البهلوي، ترجمة عبد الحليم الحمراني، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، قم، 2008، ص130.
7- رسول، المصدر السابق ، ص.7
8- ولد باتريس لومومبا في ستانليفيل في الكونغو عام 1925م وينتمي الى قبيلة الباتيليلا وناضل ضد الإحتلال البلجيكي إذ أسس الحركة الوطنية في الكونغو عام 1958م، وهو أول رئيس وزراء منتخب في الكونغو وتم إغتياله من قبل السلطات البلجيكية للمزيد من التفصيلات ينظر: باتريس لومومبا-ويكيبديا-الموسوعة الحرة
Ar.wikpedia.org.
9- علي شريعتي، التشيع العلوي والتشيع الصفوي، ترجمة حيدر مجيد، تقديم ابراهيم الدسوقي، دار الأمير، بيروت، 2002م، ص[ذ].
10- رسول، المصدر السابق ، ص8.
11- علي شريعتي، التشيع العلوي والتشيع الصفوي، ص[ر].
12- علي شريعتي، الإمام علي في محنه الثلاث محنة التاريخ -محنة التشيع-محنة الإنسان، ترجمة علي الحسيني، تقديم ابراهيم الدسوقي، دار الأمير، بيروت، 2001، ص[و-ز].
13- علي شريعتي، الإمام السجاد أجمل روح عابدة، ترجمة أحسان صوفان، مراجعة حسين علي شعيب، تقديم ابراهيم الدسوقي، دار الأمير، بيروت،2004، ص.10
14- رسول، المصدر السابق، ص.8
15- علي شريعتي، الإنسان والتاريخ ،ص.24
16- علي شريعتي، دين ضد دين، ترجمة حيدر مجيد، دار الفكر الجديد ، النجف،2007، ص23-24.
17- علي شريعتي، الإنسان والإسلام، ترجمة عباس الترجمان، مراجعة حسين علي شعيب، دار الأمير، بيروت، 2006، ص.10
18- علي شريعتي، دين ضد دين، ص.24
19- علي شريعتي، الإنسان والتاريخ ،ص24-25.
20- المصدر نفسه ، ص.56
21- المصدر نفسه، ص58-.61
22- المصدر نفسه، ص64-.65
23- علي شريعتي، الإنسان والإسلام، ص.38
24- المصدر نفسه، ص.35
25- المصدر نفسه، ص40-.44
26- المصدر نفسه، ص50-.53
27-- علي شريعتي، تاريخ الحضارة، ترجمة حسين نصيري، مراجعة حسين علي شعيب، ط2،دار الأمير، بيروت،2007،ج1-2، ص.245
28- علي شريعتي، تاريخ ومعرفة الأديان، ترجمة حسين نصيري، تحقيق منذر ال فقيه، دار الفكر الجديد ، النجف، 2008،ج1، ص582-.583
29- علي شريعتي، الإنسان والتاريخ، ص90.
30- علي شريعتي، العودة الى الذات، ص.79
31-علي شريعتي، دين ضد دين، ص.26

32- علي شريعتي، الإنسان والإسلام، ص12-.13
33- علي شريعتي، دين ضد دين، ص.28
34- علي شريعتي، تاريخ االحضارة، ص254-.255
35- علي شريعتي، دين ضد دين، ص.24
36- علي شريعتي، الإمة والإمامة، ترجمة عباس الترجمان، مراجعة حسين علي شعيب، مؤسسة الآداب الشرقية، النجف،2006، ص8-.9
37- علي شريعتي، تاريخ ومعرفة الأديان، ص337-.338
38- المصدر نفسه، ص.339
39- علي شريعتي، تاريخ االحضارة، ص199-.202
40- علي شريعتي، دين ضد دين، ص26-.27
41- علي شريعتي، تاريخ ومعرفة الأديان، .584
42- علي شريعتي، تاريخ االحضارة، ص.217
43- المقصود بذلك النوع من الشرك هو إن دين التوحيد عندما ينتصر على الشرك فهو لم يطهره بل يبقى أتباعه منضوين تحت لواء دين التوحيد وبعد عدت أجيال تصبح قيادة الدين بيد تلك الفئة للمزيد من التفصيلات ينظر: علي شريعتي، تاريخ ومعرفة الأديان، ص587-.588
44-المصدر نفسه، ص587-.588
45- علي شريعتي، دين ضد دين، ص45-.46
46- المصدر نفسه، ص77-.78
47- علي شريعتي، الإنسان والتاريخ، ص15-.18
48- علي شريعتي، مسؤولية المثقف، ترجمة ابراهيم دسوقي، مراجعة حسين علي شعيب، دار الفكر الجديد ، النجف، 2005، ص68
49- علي شريعتي، الإنسان والتاريخ، ص.15
50- المصدر نفسه، ص17 .
51- علي شريعتي، تاريخ االحضارة، ص201-.203
52- المصدر نفسه ، ص.263
53- علي شريعتي، العودة الى الذات، ص.66
54- علي شريعتي، دين ضد دين، ص.96
55- علي شريعتي، مسؤولية المثقف ، ص.100
56- أستوردت الحضارة الفارسية الكثير من المفردات اللغوية من الحضارات العراقية القديمة وبعد ذلك صدرتها الى الحضارات العراقية للمزيد من التفصيلات ينظر: طه باقر، من تراثنا اللغوي القديم ما يسمى بالدخيل "معجم ودرلسة"،ط2 ، مكتبة لبنان، بيروت، .2001
57- للمزيد من التفصيلات عن مساهمة العرب في دراسة اللغات السامية ينظر: هاشم الطعان، مساهمة العرب في دراسة اللغات السامية، دار الحرية للطباعة، منشورات وزارة الثقافة والفنون، بغداد، .1978
58- علي شريعتي، العودة الى الذات، ص66-.67

المصادر والمراجع:

1) * طه باقر، من تراثنا اللغوي القديم ما يسمى بالدخيل "معجم ودرلسة"،ط2 ، مكتبة لبنان، بيروت، 2001.

2) * علي شريعتي، الإمام علي في محنه الثلاث محنة التاريخ -محنة التشيع-محنة الإنسان، ترجمة علي الحسيني، تقديم ابراهيم الدسوقي، دار الأمير، بيروت، 2001.
3) التشيع العلوي والتشيع الصفوي، ترجمة حيدر مجيد، تقديم ابراهيم الدسوقي، دار الأمير، بيروت، 2002.
4) الإمام السجاد أجمل روح عابدة، ترجمة أحسان صوفان، مراجعة حسين علي شعيب، تقديم ابراهيم الدسوقي، دار الأمير، بيروت،2004.
5) مسؤولية المثقف، ترجمة ابراهيم دسوقي، مراجعة حسين علي شعيب، دار الفكر الجديد، النجف، 2005.
6) الإمة والإمامة، ترجمة عباس الترجمان، مراجعة حسين علي شعيب، مؤسسة الآداب الشرقية، النجف،2006.
7) الإنسان والإسلام، ترجمة عباس الترجمان، مراجعة حسين علي شعيب، دار الأمير، بيروت، 2006.
8) العودة الى الذات، ترجمة ودراسة وتعليق ابراهيم الدسوقي، مراجعة حسين علي شعيب، ط2،دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت، 2007.
9) الإنسان والتاريخ، ترجمة خليل علي، تحقيق محمد حسين بزي، ط2،دار الأمير، بيروت،2007.
10) دين ضد دين، ترجمة حيدر مجيد، دار الفكر الجديد، النجف،2007.
11) تاريخ االحضارة، ترجمة حسين نصيري، مراجعة حسين علي شعيب، ط2،دار الأمير، بيروت،2007،ج1-2.
12) الإسلام ومدارس الغرب، ترجمة عباس الترجمان، تحقيق محمد حسين بزي، دار الفكر الجديد، النجف، 2008.
13) تاريخ ومعرفة الأديان، ترجمة حسين نصيري، تحقيق منذر ال فقيه، دار الفكر الجديد، النجف، 2008،ج1.
14) غلام رضا نجاتي، التاريخ الإيراني المعاصر ايران في العصر البهلوي، ترجمة عبد الحليم الحمراني، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، قم، 2008.
15) فاضل رسول، هكذا تكلم علي شريعتي فكره ودوره في نهوض الحركة الإسلامية مع نصوص مختارة من كتاباته، دار الكلمة للنشر ، بيروت، 1987.
16) هاشم الطعان، مساهمة العرب في دراسة اللغات السامية، دار الحرية للطباعة، منشورات وزارة الثقافة والفنون، بغداد، 1978.
17) ويكيبديا-الموسوعة الحرة
Ar.wikpedia.org.

Abstract:

This research was studied some social and historical hints of Ali Shariati's intellect. This research included an introduction, three chapters and a conclusion. The introduction dealt with his biography, he is a thinker who is extinguished with his researches and studies in sociology and Islamic history.

The first chapter discussed the human field in Shariati's in intellect especially the human view to religious and universe. The second chapter was clarified the religious field of the human societies whereas there was no society without religion, thereupon his study wasn't limited to the eastern religions but he tried to study all religions.

The last chapter was dealt with history and civilization in which shariati criticized the reality of historical researches from one point, and his view to the Persian civilization was racial from other point and that what was proved by this research.